تحليلُ الخطابِ النَّقديّ
لوصيَّةِ العلّامةِ الحليّ إلى ابنِه
(في ضوء نظرية تحليل الخطاب النقدي لنورمن فيركلاف)

أ.م. د. موسى عربي
جامعة شيراز/ إيران

يعدّ تحليل الخطاب من الدراسات البينيّة في الأدب والعلوم الاجتماعية، إذْ يعالجُ عمل اللغة في المجتمع وارتباطها بالسلطة الحاكمة والسياسة والبُنَى الاجتماعية والايديولوجية. وقد لفت انتباهَ فيركلاف الاتجاهُ النقديُّ المتجذِّرُ في علم اللغة النقدي بين شتى الاتجاهات في تحليل الخطاب، وإنَّهُ في تحليلِه للخطاب النقدي ألقى الضوءَ على ثلاثة مستويات من الوصف والتفسير والتبيين.

يحاول هذا البحث أَنْ يعالجَ وَصِيَّةَ العلَّامة الحليّ في المستويات الثلاثة تلكَ، في ضوء منهج تحليل الخطاب النقدي حتى يكشف الستار عمّا وراء المفردات والجمل من الحقائق الاجتماعية والسياسية. فعلى مستوى الوصف، يَسعَى العلَّامةُ إلى تبيين فكرته مِن خلال بيان التضادات واستعمال مفردات وجمل معيّنة. وعلى مستوى التفسير، يهتمّ المؤلف بالسياق الظرفي والافتراضات المسبقة والتناص. وعلى مستوى الشرح، يُصَوِّرُ تأثير البُنَى الاجتماعية في نوع الخطاب، وتُحَدِّدُ في ضوء ذلك البُنَى الاجتماعية الخطابَ الحاسمَ بينَ العلَّامة وابنه.

الكلمات المفتاحيَّة:
وصية العلامة الحلي، تحليل الخطاب النقدي، نورمن فيركلاف.

An Analysis of Critical Discourse of Al-Alama al-Hilli's Will to his Son

(In light of Norman Fairclough's critical discourse analysis theory)

Asst. Prof. Dr. Musa Arabi

Shiraz University/Iran

Abstract

Discourse analysis is one of the interdisciplinary studies in literature and social sciences, as it deals with the work of language in society and its connection with authority, politics, social structures, and ideologies. Fairclough drew the attention of the critical trend rooted in critical linguistics among the various trends in discourse analysis, and in his analysis of critical discourse, he shed light on three levels description, interpretation, and clarification.

This research attempts to address the commandment of Al-Alama Al-Hilli in those three levels, in the light of the critical discourse analysis method, in order to reveal the social and political facts behind the vocabulary and sentences. At the level of description, he seeks to clarify his idea through the statement of antonyms and the use of specific vocabulary and sentences. At the level of interpretation, the author is concerned with situational context, presuppositions, and intertextuality. At the level of explanation, the effect of social structures on the type of discourse is depicted, and in the light of that social structures, the decisive discourse between Al-Alama and his son is determined.

Keywords:

Al-lama al-Hilli's will, analysis of critical discourse, Norman Fairclough.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الوصية هي عبارة عن ورقة يقوم شخصٌ بكتابتها قبل موته، وغالبًا يُخَصِّصُ هذا الشخص بجُزءٍ من ماله أو كله، أو يوصيه بإنجاز أمرٍ خاص أو نهي معيّن وبعد موته يجب على الورثة تنفيذ ماجاء فيها وذلك بما لا يتعارض وشَرْعَ الله.

وصيةُ العلَّامة الحليِّ هي وصيةٌ روحيةٌ – اجتماعيةٌ، موضوعها الأساسيّ هو بيان عوامل السعادة والشقاوة للناس جميعهم في الدنيا والآخرة وهي من الوصايا التي أَوصَى بها الموصي إلى ابنه فخر المحققين، لكنَّها – كالعديد من الكتابات الأخرى – يمكن أن تنفعُ عامةَ الناس وتسهم في نجاح جميع قرائها.

وإنَّ الوصايا، مثل النصوص الأدبية الأخرى والنصوص السياسية وسواها، تخضعُ لتحليل الخطاب، ومن خلال دراستها وتحليلها النقدي يمكن الوصول إلى الأفكار الأيديولوجية لمؤلفها. «تحليل الخطاب هو دراسة متعددة التخصصات الذي ظهر من منتصف الستينيات حتى منتصف السبعينيّات بعد التغيرات العلمية الموسعة في هذا المجال، مثل الأنثروبولوجيا، والإثنولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس الإدراكي والاجتماعي، والشعر، ومعاني التعبير، واللغويات، والسيميائية وغيرها من العلوم الاجتماعية والإنسانية المهتمة بالدراسات المنهجية للهيكل والوظيفة وعملية إنتاج الكلام والكتابة».[1] بين أنواع مختلفة من تحليل الخطاب، مثل تحليل الخطاب الوصفي، وتحليل الخطابات غير النقدية، وغيرها، فإنَّ تحليل الخطاب النقدي على أساس نظرية فيركلاف هو موضوع هذا البحث. وقد تم إجراء تحليل الخطاب النقدي لفيركلاف على المستويات الثلاثة من وصف النص، وتفسير العلاقة بين النص والتفاعل، وتبيين العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي.

وفي نظرية فيركلاف، «يفحص التحليل النقدي، الظواهر اللغوية والإجراءات الخطابية للعمليات الإيديولوجية في الخطاب، والعلاقات بين اللغة والقوة، والأيديولوجيا، والهيمنة والقوة، والافتراضات المسبقة ذات مبادئ الإيديولوجية في الخطاب، والتكاثر الأيديولوجي للقوة، والسلطة، والهيمنة، وعدم المساواة. ويتم توجيه الانتباه إلى الخطاب ويركز على العناصر اللغوية وغير اللغوية بالإضافة إلى المعرفة الأساسية للأطراف الفاعلة»[٢]، فَإِنَّ معرفة الطلاب والباحثين للموضوعات الجديدة وإثبات إمكانية معالجة العناصر المكوّنة ووحدات الجمل والنصوص الأدبية من منظور التحليل اللساني من أجل الابتعاد عن وجهة النظر التقليدية هو من أهداف هذا البحث. وتظهر أهميَّة هذا البحث في استعمال منهج علميّ ولسانيّ لمعرفة زوايا الوصية التي لم يتم إجراء أي بحثٍ علميّ مُدَوَّن بِشَأْنِهَا.

الدراسات السابقة:

لقد أُجرِيَت العديد من الدراسات على تحليل الخطاب التي منها: كتاب «درآمدى به گفتمان‌شناسى» للطف‌الله يارمحمدى الذي نُشِرَ سنة ١٣٨٣ هـ ش، والمؤلف بعد تعريف عام للخطاب، يناقش الخطاب النقدي، وفضلًا عن ذلك، فقد تم إجراء العديد من الدراسات عن هذا الموضوع، منها : «تحليل الخطاب السائد في رواية سووشون لسيمين دانشور» الذي كتبه حسنعلي قبادي وزملاؤه، ونُشر عام ٢٠٠٩ في العدد ٦ من المجلة الفصلية للنقد الأدبي، وبحثوا فيه أهمّ العناصر في السياق الظرفي الذي ينعكس في سياق هذه الرواية. ووجدنا بحثًا واحدًا عن العلامة الحليّ بعنوان «يوميات العلامة الحلي ونجله فخر المحققين» لعبدالحسين الطالعي، نُشِرَ في مجلة علوم القرآن والحديث عام ١٤٣٥ في العدد ١ و٢، وقدّم المؤلف فيه تعريفًا عن العلامة ونجله. وأما الهدف من هذه الدراسة فهو تحليل الخطاب النقدي لوصية العلامة الحلي لابنه، بعد تعريف الوصية وبيان نبذة عن الموصي وبيان مقدمة لتحليل الخطاب النقدي ونظرية فيركلاف، بالتحليل

النقدي للوصية في المستويات الثلاثة من الوصف والتفسير والتبيين.

أسئلة البحث:

١. كيف يتمّ تحليل الخطاب النقدي على أساس نظرية فيركلاف في الوصية المذكورة؟

٢. ما القضايا الموجودة على مستوى الوصف والتفسير والتبيين في هذه الوصية؟

تعريف الوصية:

الوصية – كما جاء على ألسنة الفقهاء– هي تصرف في التركة مضاف إلى ما بعد الموت. وهي مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع.[٣] للوصية المشروعة أنواع، ومنها: الوصية بالدين، والوصية بالمال، والوصية على الأهل، والوصية على الأولاد، والوصية على الأيتام، والوصية على الأموال، والوصية على الإنفاق.[٤]

والأركان الرئيسة في الوصايا هي الموصي والموصى إليه والموصى فيه وصيغة الوصية التي تعني وجود الشروط الخاصة بالقبول جميعها من ناحية الإيجاب من الموصي والرضا والقبول من الموصَى إليه. كما تنقسم الوصايا إلى الوصية الواجبة، والوصية المحرّمة، والوصية المستحبّة، والوصية المكروهة، والوصية المباحة.[٥]

المبادئ النظرية للبحث

لفظة الخطاب (discourse) مأخوذة من اللفظة الفرنسية (discous) وهي بدورها مقتبسة من اللفظة اللاتينية (discursus) بمعنى الحوار والكلام. فمفهوم الخطاب، ظاهرة معقدة متعددة الجوانب تتداخل فيها حقول معرفية مختلفة من الدراسات الأدبية والثقافية إلى علم الاجتماع والسياسة والفن والسيماء وعلم النفس وغيرها .[٦] واستعمل مصطلح «الخطاب» أول مرة في بحثِ «تحليل الخطاب» الذي كتبهُ زيليك هريس، الذي رأى أنّ تحليل الخطاب هو وجهة

نظر شكلية بحتة للنص.[٧] وتتمثل وظيفة تحليل الخطاب، وهو إتجاه متعدد التخصصات في استكشاف الجوانب المختلفة من المستويات الاسلوبية والكلامية مثل المعجمية، النحوية، البلاغية، وغيرها لتحليل الوجه الداخلي للمؤلف والتعبير عن أفكاره الخفية. ويجد بعض محللي الخطاب مثل سنكلير و كولتهارد معنى وحدات الخطاب واضحًا ودون أي غموض، ولكن فيركلاف يعتقد أنّ معنى النص غيرُ واضحٍ في بعض الأحيان، وأنه يمكن أن يفسّر الوحدات في داخل الخطاب بتفسيرات مختلفة[٨].

وقد ظهر تحليل الخطاب في حقل الدراسات المعرفية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية كالأنثربولوجية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، واللسانيات، والسيميائية، والدراسات الأدبية، وكل الحقول المعرفية التي تهتم بالدراسة المنهجية للبنى والوظائف في مسار تكوين الخطاب. وتجاوز مفهوم تحليل الخطاب من الاقتصار على دراسة المعاني اللُّغوية البحتة إلى دراسة الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية التي ينشأ الخطاب في طياتها.[٩] «ويستمد تفسير ومعنى النص من السياق الظرفي، ويولد في سياق العلاقات الاجتماعية. يتم التعبير عن الأيديولوجيا إما بشكل صريح وإما بشكل ضمني في النصوص. والنصوص التي تنعكس فيها الأيديولوجية بشكل واضح وشفاف هي من أنواع النصوص الخطابية التي تعبر بشكل مباشر عن علامات ومحتويات المجموعة الإيديولوجية»[١٠].

من بين الأنواع المختلفة لهذا الاتجاه نلقي الضَّوء على تحليل الخطاب النقدي الذي كانَ من أهمِّ منظِّريهِ اللذين «استخدما التقاليد الفكرية لكثير من علم الاجتماع لثراء نظريتهم، نورمان فريكلاو وفان دايك».[١١] في هذا الإطار تدرس القوالب التي يساق الكلام فيها والعناصر اللغوية التي يستعملها المؤلف كالمفردات، اختيار الأسماء والعناوين وكيفية سوق المعاني في الألفاظ واختيار التعابير التي تعكس وجهات النظر العقائدية أو السياسية أو الاجتماعية والثقافية

لمؤلف النص التي أثرت في المؤلف في إخراج نصه بهذه الصورة التي نقرؤها.[١٢]

والمراحل الثلاثة من التحليل في الخطاب النقدي لدَى فيركلاف هي ما يأتي:

١- مرحلة الوصف

في هذه المرحلة يتمُّ تحليل النص تحليلًا منفصلًا عن ظروفه الاجتماعية المحددة؛ ويعدُّ اختيار الكلمات والهياكل اختيارًا معينًا، ويسعى إلى فهم سبب اتخاذ هذه الخيارات في النص، إذْ يفحصُ فيركلاف في هذا المستوى، وهو المستوى الأول من تحليل الخطاب النقدي، المفردات والبنية النحوية للنص.[١٣]

٢- مرحلة التفسير

التفسيرات هي مزيج من محتوى النص وعقلية المفسر. والملامح الرسمية للنص هي القرائن التي تنشط عناصر معرفة عقول المفسر. والتفسير، نتاج العلاقة المتبادلة والجدل من هذه القرائن ومعرفة عقول المفسر.[١٤] وبالطبع، يشتمل المفسر على كل من الباحث والممثلين والمساهمين الذين يفسرون النصوص بناءً على معرفتهم الخاصة.

٣- مرحلة التبيين

«يوضح التفسير كيف أنّ البنى الاجتماعية تحدد الخطاب؛ كما يوضّح التبيين كيف يمكن للخطابات أن تؤثّر تأثيرًا تكاثريًا في تلك البنى، التي تؤدّي إلى الحفاظ على تلك البنى أو تغييرها»[١٥].

٤- تحليل وصية العلّامة الحلّي في المستويات الثلاثة في تحليل الخطاب النقدي لفيركلاف

تهتمُّ هذه الدراسة، بتحليل آراء العلامه الحلي وإيديُولوجيته في وصيته في المستويات الثلاثة من تحليل الخطاب النقدي لتبيّن فكرته في عوامل السعادة والشقاوة للناس. وتجدر الإشارة إلى أننا «نتعامل التحليل في كل مرحلة، ولكن

طبيعته تختلف في كل مرحلة. يركز التحليل في الخطوة الأولى على تصنيف الملامح الرسمية للنص وينظر إلى النص على أنه كائن، وفي المرحلة الثانية، يتناول تحليل الخطاب العمليات التفاعلية للمشاركين والتفاعل. كما تعبر مرحلة التفسير عن العلاقة بين الأحداث الاجتماعية (التفاعلات) والهياكل الاجتماعية»[١٦].

١- وصية العلامة الحلي في مرحلة الوصف

في مرحلة الوصف مرحلة تحليل البنية اللغوية للكشْفِ عن الأغراض الخفية والمستورة خلف المفردات والجمل تتمّ الإجابة عن مجموعتين من الأسئلة:

السؤال الأول: ما هي الكلمات التي تحتوي على قيم تجريبية أو ترابطية أو تعبيرية؟ يتم ترميز القيمة التجريبية التي تمثّل تجربة المنتج والنص من العالم، في قسم المفردات في شكل التناقضات والدلالات والارتباطات الدلالية. والقضية الأكثر إثارة للجدل التي يحاول العلامة الحلي إظهارها هي قضية التناقض؛ التناقض بين عوامل السعادة وعوامل الضلالة، والخير والشر، والأوامر والنواهي، وغيرها، التي تكرر دائمًا في النصوص ذات الوجوه وقد يكون له تأثير في سبيل الإكثارِ مثل هذه الأعمال.

ومن نماذجه النص التالي، إذْ يقولُ العلَّامةُ:

«ورزقك أسباب السعادات، وأفاض عليك من عظائم البركات، ووقاك الله كلّ محذور، ودفع عنك الشرور... وعليك باتباع أوامر الله تعالى، وفعل ما يرضيه واجتناب ما يكرهه، والانزجار عن نواهيه».

في هذا النص الوصفي للعلامة، يمكن للمرء أن يستكشف عن الفجوات بين الخير والشر، والسعادة والضلالة. كما أنه ينطوي على وجهة نظر أيديولوجية أنّ الشخص الذي يتبع الطريق الصحيح ويطيع وصايا الله، سوف تحقق له البركات الإلهية. وفي الوقت نفسه وفي أي نص، يعكس استعمال كلمات وأسماء أشخاص معيَّنين وجهة نظر قد تكون نظرة إيجابية أو سلبية، وأنه ليس من قبيل الصدفة،

وربما يكشف من خلالها بعض رموز محددة في سياق النص. كما نجد أن اختيار عنوان «سيد البرايا» للنبيّ يمثل إيمان المؤلف ببراءة النبي محمد وسيادته.

ومن حيث القيم الترابطية بين المفردات، يجب على المرء الانتباه إلى كيفية اختيار كلمات النص التي تعتمد على العلاقات الاجتماعية للمشاركين وكيف تساعد على خلق هذه العلاقات.[١٧] ومن ميزة المفردات التي تتعامل مع القيم المترابطة هي كونها رسمية. تتطلب العلاقة الرسمية بين مؤلف النص والجمهور المتوقع أن يحتوي النص على مفردات رسمية بعيدة عن الكلمات العامية. كما أن حديث الأب إلى ابنه أعرب إعراباً رسميًا بسبب خطابه الحقيقي للجمهور، وبما أن الجمهور غير محدَّدٍ، وقد يكون من قرائه، فإن كل الوصية قد أُلّفت رسميًّا.

وفي القيم التعبيرية للمفردات التي تتعامل مع الهويات الاجتماعية،[١٨] يتم عرض تقييم المنتج في جزء من الواقع. ومن بين الموضوعات التي يتحدث عنها فيركلاف في التعبير عن القيم التعبيرية للمفردات هي الاستعارة، فإنَّ الاستعارة في رأى فيركلاف هي «وسيلة لتمثيل جانب من الخبرة فيما يتعلق بآخر، وهي ليست حصرية بأي شكل من أشكال الخطاب الذي يفترض ذات الصلة به بالصور النمطية»[١٩]. ويمثّل وجود الاستعارة في هذه الوصية في تسمية آل محمد بعنوان «الذرية العلوية». «الذرية العلوية» هي في الواقع استعارة عن خمسة الأشخاص الذين دُعوا بهذا العنوان بسبب كرامتهم وعلويتهم.

وأما السؤال الثاني : تحتوي الميزات النحوية على أي قيم تجريبية، وترابطية، وتعبيرية، فالقيمةُ التجريبية للبنى النحوية تكونُ في شكل الأفعال المعلومة والمجهولة، وعدم وجود جمل مجهولة تعني أنَّ الناسَ يعرفون العاملَ الذي بواسطته واجهوا المحن والمصائب. «فتطبق البيانات مثل الأفعال المعلومة والمجهولة، والتأكيد، والتكرار، والجمل الأمرية، الاستفهامية والإنكارية، و... في مختلف الخطابات الإيديولوجية لأغراض مختلفة»[٢٠].

في هـذه الوصيـة غالبًـا لم تسـتعمل غالبًا الجمـل مجهولة لتفسـير طبيعة النص ووضوح هوية المؤلف والمرسـل إليه. وفي الوقت نفسـه تسـتعمل الضمائر بشـكل عام في شـكل خطاب، ومفرد بسبب مقام الكلام الذي يخاطب من الجانب الأكبر شأنا إلى الأقل شأنًا. نجد أمثلة لهذه الجمل في الجملة الآتية:

«اِعلـم يـا بُنـيَّ، أعانـكَ اللهُ تعالى عـلى طاعته ووفّقـك لفعل الخـير وملازمته وأرشدك إلى ما يحبّه ويرضاه وبلّغك ما تأمله من الخير».

فهنـا ألغـى العلامـة الحـلي بعـض مكوّنـات الجملة مثـل الفاعـل في الجملة المذكورة؛ إذ التعبيرات المتكررة للموضوع المعين تسبب التكرار واستهلاك أذواق الجمهور.

والأمر الآخر في القيم التجريبية للنص هو استعمال المؤلف الجملة القصيرة أو عكسـها، إذْ قامَ العلامةُ الحليُّ – بِحُكْمِ بعض الأغراض – باسـتعمال جمل قصيرة، كما يقول:

«وعليك بالصبر والتوكل والرضا وحاسب نفسك في كلّ يوم وليلة وأكثر من الاستغفار لربّك واتقِ دعاء المظلوم و...».

وهـو يشـير هنا – عن طريـق تقصير الجمل – إلى التعبير عـن الفاعل وردود الفعـل السريعة، من أجل إظهار الحاجة إلى الطاعة دون جدل، وبين الفعل وردود الفعل. أيضًا، يحاول المؤلف تبيين أهمِّية أعمال الخير والصالح، وللأسـباب نفسـها وظّـف الجمـل العامَّة، من دون التعبير عن أيّ نوع من أنواع هذه الفضائل. فتُظهر هـذه الدراسـة أنّ «الكلمات ليسـت محايـدة، لكن مـن الناحيـة التاريخيـة، ثقافيًّا، وإيديولوجيًّـا، فَإِنَّ لهـا العديد من الآثـار والدلائل الضمنيـة»[٢١]. في هذا النص، نجدُ نوعًا من «المواجهات غير المتسـاوية» للتفاعل مع الأشـخاص ذوي المواقف غـير المشـابهة، وهـذا هو حضـور شـخصية العلامـة الحلي مقابـل شـخصية ابنه، وبسبب هيمنته وشخصيته العالية بسبب تفوقه الروحي وموقفه تجاه الابن المتعلم

والجماهير المتنامية الأخرى في أن يكون للناس حصة غير متساوية في هذا التفاعل والمشاركة الحقيقية أو وفقا لتعبير جرايس (١٩٧٥)، لم يتم احترام «مبادئ المشاركة اللغوية»[٢٢] في النص، وولده لم يتحدث ولو كلمة واحدة. لكي يتمكن الأفراد من التفاعل بقدرٍ مُتَسَاوٍ، يجب أن يكونوا متساوين، وتعني المواقف المتساوية أن تكون واجباتهم التقديرية والتطبيقية متساوية. ولكن في الفقرة المذكورة، نشاهد الشخصية المنفعلة للابن الذي لا يستطيع استجواب الأب والاحتجاج عليه أو مخالفته، ففي لغة هذا النص تنعكس هيمنة أنظمة القوة التي توجد في مختلف المؤسسات مثل مؤسسة الأبوة بشكل جيد.

يبيّن في موضوع الميزات النحوية ذات القيمة الترابطية، بعض المباحث نحو وجوه الجمل والضمائر المستعملة في النص. «إن عدم التناسق المنتظم في توزيع الوجوه بين المشاركين في حد ذاتها أمر مهم من ناحية المشاركة: وهذا الأمر، سواء كان العمل بشيء أو تقديم معلومات للآخر، فعادة ما يأخذ من مقام السلطة»[٢٣].

في هذه الوصية، بسبب مقام النص في الوعظ، يتم التعبير عن معظم الجمل في شكل أمر أو حظر ونهي:

«وعليك بصلاة الليل،... وعليك بصلة الرحم، فإنّها تزيد في العمر وعليك بحسن الخلق،... وعليك بتعظيم الفقهاء وتكرمة العلماء و...».

إحدى الموضوعات التي تطرح في الجملِ ذات القيمة التعبيرية هي نظام التناوب، إذْ تعتمدُ السيطرةُ على التناوب على طبيعة نظام الاستجابة وعلاقاتِ القوة بين المشاركين. في بعض الأحيان يختار الشخص الذي يتكلم بعده، وأحيانًا يأخذ المتكلم التالي الدَّورَ من الشخص الأول؛ أحيانًا يكون المتكلم غالبًا ولايعطي فرصة حديث للآخر. قد يدرج العلَّامة في بيانه، أحيانًا، بعضًا مِن كلام النبيِّ أو الأئمةِ، وبطريقة ما تسمح لهم بالتحدث وفقًا لكلمته.

«وعليك بصلاة الليل، فإنّ رسول الله حثَّ عليها وندب إليها وقال: مَن خُتِمَ لهُ بقيام الليل ثمّ مات فله الجنّة».

«وعليك بحسن الخلق، فإنّ رسول الله قال: إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم».

«وعليك بصلة الذريّة العلوية، فإنّ الله تعالى قد أكّد الوصيّة فيهم، وجعل مودّتهم أجر الرسالة والإرشاد، فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾».

٢- تحليل الوصية في مرحلة التفسير

قمنا في مرحلة الوصف ببيان السمات الشكلية للنص ذات قيم تجريبية وترابطية وتعبيرية، ولتحليل النص تحليلًا كاملًا وفهم البنى الاجتماعية يجب أن ننطلق من هذه المرحلة إلى المرحلة التالية أي مرحلة التفسير. عند هذه النقطة تتم مناقشة قضيتين:

القضية الأولى ومن أهم القضايا على مستوى التفسير هي وجود الفرضيات المسبقة والسياق الحاكم بين النصوص والخطابات. ونرى فيركلاف يستكشف عن تحليل النصوص ليصل إلى النقطة التي تقول «إن خطابات ونصوصهم هي نفسها تاريخية وتنتمي إلى مجموعات تاريخية، وتعتمد تفسير سياق النصوص على المجموعة التي ينتمي إليها النص، وما هي الأسباب العامة والافتراضات ما بين المشاركين. وكما هو الحال مع السياق الظرفية، يمكن للمشاركين في الحوار أن يحققوا تفسيرات متطابقة أو مختلفة تقريبًا، وقد يتم فرض تفسير أكثر قوة على المشاركين الآخرين».[٢٤]

هذه الخلفية المشتركة بين المشاركين في الخطاب التي تعتبر السعادة في رضاية الله واتباع وصاياه، واضحة في كتاب العلامة إلى ابنه:

«وعليك باتباع أوامر الله تعالى، وفعل ما يرضيه، وقَطْعِ زمانك في تحصيل الكمالات النفسانية...».

فهنا يمكن للمرء أن يفهم قدرة الخطابات في تجسيد المعنَى والتواصل الاجتماعي؛ لأن الخطاب يشكّل العقلية والاتصالات الاجتماعية السياسية (السلطة)[٢٥].

وفي الوقت نفسه، هناك دائمًا افتراضات مسبقة في نصٍّ يحاولُ المؤلفُ إخبارَهُ بها بواسطة الملامح الصورية للنَّصِّ، وفي ضوء الخطط والموضوع والسيناريوهات.

فعلى سبيل التمثيل يأتى العلامة بهذه الافتراضات في وصيته قائلًا:

«وإيَّاكَ ومصاحبة الأرذال ومعاشرة الجُهَّال، فإنَّها تفيد خلقًا ذميمًا، وملكةً رديئةً...».

يعدُّ الإطار بمثابة افتراض مسبق ومعرفة خلفية على مستوى التفسير، والإطار في وصية العلامة الحلي لابنه لهُ مفهومٌ تجريديّ ومجرد وهو الحصول على السعادة ورضا الله.

القضية الثانية التي يتمُّ تحليلها على مستوى التفسير هي السياق الظرفي ونوع الخطاب، إذْ تجدرُ الإشارة إلى أنّه كيف يُفسِّرُ المفسِّرُ السياقَ الظرفيَّ الذي يتضمن طبيعة القصة ومسير العملية ونتائجها؟ وهذا التفسير كيف يعرّف نوع الخطاب؟ في الوصية المذكورة، في البداية يحدّد العلامة نوع ونوعيَّتُهُ مِن خلال التعبير عن ابنه ببيان يا بنيَّ، أو الإعلان عن بعض الأشياء الضرورية لتحقيق رضا الله ونصره في العالم:

«اِعلمْ يا بُنيَّ ،أعانك الله تعالى على طاعته ووفّقك لفعل الخير».

إن الحكاية في هذا النص هي إرشاد ابن العلامة الحلي خاصة والبشر عامة؛ ومن هذا المنطلق نرى أنّ فاعلي هذه القضية هم من جهة العلامه الحلي وأولئك الذين يتحدث العلامة عنهم خلال وصيته، ومن ناحية أخرى ابنه والأشخاص الآخرين الذين قد يكونون مخاطبين هذا النص. النشاط الرئيس للنص ينطوي على الدعوة إلى كسب الفضائل والبعد عن المحارم، الحركة نحو السعادة الحقيقية من خلال العمل على مبادئ هذا النعيم وتجنب العوامل التي تؤدِّي إِلى الضَّلالِ. في بداية الأمر نشاهد التقابل العام بين الرذائل والفضائل التي – بعد مرور بعض الوقت – يتمُّ التعبيرُ عنها بأشكال مختلفة وفروعها؛ لأنَّ العلامةَ يُشَجِّعُ ابنَهُ في

البدايـة على اكتسـاب محبة الله وتجنـب الشَّرّ تجنبًا عامًّا، ثمّ يُشـير إلى طُـرُقٍ مختلفة لكسـبِ رضاهُ سُـبحانه وتعالى نحوَ بذلِ المعروف، ومسـاعدة الأخوان، ومقابلة المُسيء بالإحسان، ورذائل نحو عدم مصاحبة الأراذل والجهال و....

في هـذا النص، يتم تبيين قيمة الأفراد وكرامتهم على أسـاس الموقف الروحي ومسـتوى النمو العقلي، وليس على أسـاس القيم المادية والقيـم الدنيوية. وتطبيق كلـمات الجهـال والأراذل ودعـوة العلامة بالبعد عنهـا، وفي الوقت نفسـه دعوته إلى مسـاعدة الإخـوان وصـلاة الليـل و... كلهـا يُمثِّلُ نظـرةً إيديولوجيـة، وهذه الدعـوة المتكررة إلى الخير والنهي عن الشر، يمثل الجدلية الروحية وتناقض القيمة التـي حاول العلامـة تقديمها. فضلًا عن ذلكَ فإنَّ المسـألةَ الأُخـرى التي يذكرها فـيركلاف بعنـوان الغيرية هي واضحة في النص الحـالي، إذْ إنَّ العلَّامةَ يعرّف «أنا» أو «الغير»، مغايرًا نفسـه عن طريق شروع الوصية واسـتمرارها بـ«يا بُنَيَّ»، كما أنَّ غياب ضمير»نا» في النص يدلّ على هذا المعنى.

المناقشة الأخرى التي يجب الإشارة إليها في مستوى التفسير هي إمكان تغيير تفسـير سـياق النص خلال تفاعل مشـاركي الخطاب، في رأى كلهم أو بعضهم، ولكـن لا يحدث مثـل هذا التغيير في نص العلامة لأنّهُ يُعبِّرُ عن المعتقدات الروحية التي تسـعد البشر بلاشـك. فإنّه من أجل تقوية هذه الحقيقة، يفيدُ أَحيَانًا مِن كلام بعـض الكبراء، وتَـدلُّ كُلُّ هذهِ الجمل عـلى عدمِ التغيير في إيمانـه بكلماته، وغياب التغيير في تفسير النص من قبل المفسر.

٣- تحليل الخطاب النقدي في الوصية على مستوى التبيين

المسـتوى الثالـث والأخـير مـن تحليـل الخطـاب النقـدي في رأي فـيركلاف هو مسـتوى التبيـين. فيركلاف يركّـز على تأثير البنـي الاجتماعيـة ذات الاتجاهين في الخطـاب وتأثـير الخطـاب في البنـى الاجتماعيـة. وبالطبـع، يجـب الملاحظة أن

الخطابات، من حيث نوعها وشكلها، تؤثر في البنية تأثيرًا مباشرًا أو غير مباشر، إذْ إنَّ الوصيةَ لا يمكنها أن تغيرًا مباشرًا بنية المجتمع، ولكن النصوص الدستورية تؤثّر في هذه الهياكل تأثيرًا مباشرًا.

الخطاب الغالب الذي يحكم وصية العلامة الحلي هو خطاب يشجّع على الوصول إلى طريق السعادة، والتي تقابل في الوقت نفسه دائما السعادة والضلالة، والفضائل والرذائل، و...، ويقاس بشكل ضمني في هذه الخطابات مستوى فكرة المؤلف. العوامل الاجتماعية والعلاقات التي تسهم في تكوين الأيديولوجي الخاص للمؤلف ونوع الخطاب المعبر عنه هي وجود الظلم والمظلوم والهيمنة والقوة بشكل عام. مثل هذه الخطابات المناهضة لعدم المساواة والقمعية تؤثر بشكل غير مباشر في تشكيل الكفاح ضد الظالمين وتشجّع الناس على محاولة خلق خطابٍ ضِدِّ الخطاب الحاكم.

إن العلامة في هذه الوصية، وفي جوهر النص الذي يظهر التقابل بين السعادة والضلالة، يحاول التساؤل عن عاقبة الفضائل والرذائل في نهاية المطاف، ويكافح في سياق كفاحه الاجتماعي، للقضاء على أوجه عدم المساواة الاجتماعية المتجذرة في تعطيل مبادئ الإسلام، في شكل صراعٍ بين أهل الرخاء والجانب الآخر من أولئك الملتزمين بين جانبي الصراع الاجتماعي. ويحاول تغيير بنياتها القائمة بشكل حاسم وتطبيق النص كجزء من عملية النضال الاجتماعي ضد القذارة. إن نظرة العلامة الحاسمة في هذا السياق والكشف عن الجهال والأشخاص المهملين كان من الممكن أن يؤدي إلى التغيير في البنية الاجتماعية في ذلك الوقت في العراق، أو أن تمنع من ظهور هياكل من شأنها إهمال حقيقة الدين في المستقبل، بينما يمكن في نفس الوقت أن يفيد في إعادة بناء مثل هذه الخطابات بالإضافة إلى النتيجة اللاشعورية للإنتاج، يمكن لهذا التكاثر أن يكون فعالًا في تفسير مثل هذه الخطابات. وهكذا زيادةً على هذه الحقيقة بأن المنتجين الآخرين للخطاب قد يؤثرون في الخطاب

الـذي يحكم هذه الوصية ويؤثـرون فيهم، فإن هذا التأثير يمكن أن يعيد إنتاج هذا الخطـاب في عقـل المفسر والباحث وممثلي ذلك الخطاب؛ ومن ثَـمَّ فإنَّ هذا التكاثر يربط مرحلة التفسـير والتبيين بعضها ببعض؛ فحينما يهتمّ التفسـير اسـتعمال عقل المفسر (معارفه المسـبقة) والنص، يسعى التبيين إلى تغيير البنية الاجتماعية والمعرفة الخلفية.

النتائج

في هـذا البحث، تمت دراسـة وصية العلامـة الحلي لابنه، متخـذًا منهج تحليل الخطاب النقدي لفيركلاف، على ثلاثة مسـتويات من الوصف والتفسـير والتبيين لاستخراج المعاني والأغراض الثانوية والخفية:

على مسـتوى وصف النـص، تبيّن أنّ موضوع الوصية والهـدف النهائي فيها يتمثَّـل في إظهار التقابلات التي تتجلى دائمًا في البنى الاجتماعية. بينما يبدأ النص في تبيين سـيطرة الكبراء والعلماء بحديث العلامة مخاطبًـا ابنه. فإنه يتحدث عن أمور نحو السـعادة والخير، ومـا يقابلها كالضلال والشر و.... ويتـم التعبير عن معظم الجمـل بعبـارات قصيرة، ممّا يعني تمثيل المدة والمسـافة القصيرة بـين الفعل وردود الفعل. كما تشير قلة الجمل المجهولة إلى وضوح هوية الممثل والفاعل.

وعلى مسـتوى التفسـير، الذي هو نتاج العلاقة الجدلية بين النظريات والمعرفة المسبقة بعقول المفسر، الكشف عن بعض الافتراضات المُسَبَّقة والمعتقدات الشائعة الموجودة في عقول الناس. في الوقت نفسه، أنه الخطاب السائد لموضوعات القصة هو في عملية المصدر الرئيسي وظهور أيديولوجية معينة.

وعلى مستوى التبيين، بينما تحدد البنى الاجتماعية الخطاب الحاسم بين العلامة وابنـه، يمكن للخطاب الحاكم في وجه تعبيره النقدي، أن يؤثّر في البنى الاجتماعية بشـكل مبـاشر أو غير مبـاشر، إذْ توجد بعـض الجمل من الآخرين التي تشـير إلى نوع من النضال الاجتماعي في النص، والذي يحدد أن المنتج يسـعى إلى تغيير البنى

الاجتماعيـة لمجتمعه. هذا التأثير ثنائي الاتجاه بين الخطـاب والبنية الاجتماعية على مستوى التفسير وتأثير التكاثر للوصية التي ترجع إلى الخطابات الموجودة في النص يمكن أن تسبب بعض التغييرات في هذه الهياكل، وهذه من القضايا المهمة في رأي فيركلاف.

الهوامش

(١)كاربـرد تحليـل گفتـمان در تحقيقـات اجتماعى ٣٥.
(٢)تحليل انتقادى گفتمان ١٢.
(٣) أحكام الوصايـا ومواريث أهل الذمة في الفقه الإسلامي ١٠٥.
(٤)http: / /www.al-eman.com.
(٥)www.roro٤٤.net /٢١٢٣٦٥.
(٦)(مک دانل، ١٣٨٠ش: ١٠-٩).
(٧)درآمدى بر تحليـل گفتمان،گفتمان وتحليل گفتمانى ٢٢.
(٨)گفتمان ١٩٥.
(٩)تحليل انتقادى گفتمان ٨-٧.
(١٠)سـبک شناسـى،نظريه هـا، رويكردهـا وروش ها ٣٥٠.
(١١)گفتـمان از سـه منظـر زبانشـناختى، فلسفى، جامعه شناختى ٢٢.
(١٢) درآمدى به گفتارشناسى ١٤٣.
(١٣)تحليل انتقادى گفتمان ١٧١-١٧٠.
(١٤) المصدر نفسه ٢١٥.
(١٥) المصدر نفسه ٢٤٥.
(١٦) رويكردهـاى غالـب در تحليل انتقادى گفتمان ٤٣.
(١٧) تحليل انتقادى گفتمان ١٧٨.
(١٨) المصدر نفسه ٧٢.
(١٩) المصدر نفسه ١٨٣.
(٢٠) سـبک شناسى، نظريه ها، رويكردها و روش ها ٣٥٨.
(٢١) المصدر نفسه ٣٥٥.
(٢٢)تحليل انتقادى گفتمان ٥٨.
(٢٣)المصدر نفسه ١٩١-١٩٢.
(٢٤)المصدر نفسه ٢٣٠.
(٢٥)گفتمان وجامعه ١٧.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

أ. الكتب:

١. أحكام الوصايا و مواريث أهل الذمة في الفقه الإسلامي. شيخ الإسلامى، سعد، نشرة هيأة الدراسات، طهران، كلية الإلهيات، ١٣٥٦ش.

٢. تحليل انتقادى گفتمان/ نورمن فيركلاف. فيركلاف، نورمن الترجمة: فاطمه شايسته بيران وآخرين، طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ ١٣٧٩ش.

٣. إلى ولدي. شرح وصية العلامة الحلي، مركز النون للتأليف والترجمة. جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ١٤٣٣ق.

٤. درآمدى بر تحليل گفتمان، گفتمان و تحليل گفتمانى. بهرام بور، شعبانلى، برعاية محمد رضا تاجيك، ط ١، طهران، فرهنگ گفتمان، ١٣٧٩.

٥. درآمدى به گفتمانشناسى. يارمحمدى، لطف الله، ط ١، طهران، هرمس، ١٣٩٣ ش.

٦. سبك‌شناسى، نظريه‌ها، رويكردها و روش‌ها فتوحى، محمود. الطبع الثالث. طهران، دار سخن، ١٣٩٥ش.

٧. كاربرد تحليل گفتمان در تحقيقات اجتماعى. قجرى، حسنعلى؛ نظرى، جواد، ط ١، طهران، نشر قدياني.

٨. گفتمان و جامعه. عضدانلو، حميد، طهران:نشر غزال، ١٣٨٠ش.

٩. گفتمان از سه منظر زبان شناختى، فلسفي و جامعه‌شناختى. كلانترى، عبدالحسين، ط ١، طهران، نشر نماد، ١٣٩١ش.

١٠. گفتمان. مترجم: فتاح محمدى. ميلز، سارا، ط ١، زنجان، هزاره سوم، ١٣٨٢.

ب. البحوث:

١. رويكردهاى غالب در تحليل گفتمان انتقادى. آقا گل زاده؛ فردوس، غياثيان؛ مريم سادات، مجلة زبان و زبان شناسى. المرحلة ٣. الرقم ١، ١٣٨٦ش.

٢. يوميات العلامة الحلي ونجله فخر المحققين. الطالعي، عبدالحسين، علوم القرآن والحديث. سنة الثلاثون. العدد ١و٢، ١٤٣٥ق.

ج. المواقع الالكترونية:

١. أنواع الوصايا، موسوعة الفقه الإسلامي،١٥/ رجب/ ١٤٣٩ - http: //www.al-eman.com

٢. مفهوم الوصية، عالم الرومانسية، ٢٠١٧م، ٢١٢٣٦٥ /net.www.roro٤٤